قادمون » . تبكون معا وتتقسمون مرة أخرى . وعلى المبنى المواجه الذي تذهب اليه يطل العلم الاسرائيلي الازرق والابيض يظلل مجموعة من الشبان والشباب الاسرائيلي اليساري . لم تكن ضائعا بين هذين العلمين المتصارعين .. علم الحق المنهوب وعلم الجريمة التي تحمل نشيدا وجواز سفر . ولكنك كنت ضائعا بين صيغ ممارستك السياسية ، لانه لا يكفي أن تعرف من أنت لتنجو من فك الحيرة . بل عليك أن تعرف طريق اختيارك . وهل أخترت ؟ لقد جئت من وطنك المحتل بوثيقة سفر اسرائيلية ، مع شباب يحملون علمهم الذي هو خنجرك . فما هو مكانك . وحين تقفز شوارع صوفيا في آخر الليل تعود الى ظل خنجرك وتترك قلبك في المبنى المجاور . ان ميدان الضياع يقع بين حقيقتك الجوهرية وبين حالتك القانونية الراهنة . تهرب من الاشتباك النفسي بطريقة غير متكاملة : لا تدخل قاعة المناقشة السياسية في مهرجان الشباب العالمي ، حيث يصطدم مندوب العلم الفلسطيني الذي يمثل انتماءك وحقيقتك وتاريخك بمندوب العلم الاسرائيلي الذي يمثل حالتك وظرفك الراهن .

أحيانا ، يكون الانسجام الكامل عرضة لارتكاب الخطأ . وفي مثل هذه الحالة المطروحة .. أن تكون منسجما مع نفسك ومع تاريخك معناه أن تكون حيث يكون شعبك ، لان الاختيار الآخر وهو البقاء حيث يكون الانسجام مفككا معناه أن تتعامل مع ظروفك التي يحددها أعداؤك بطريقة معذبة تتنافى أحيانا مع جوهرك . مثلا ، ما معنى أن تكون فلسطينيا واسرائيليا في آن واحد ؟ ما معنى أن تقف في مدينة صوفيا بين بنايتين احداهما تحمل العلم الفلسطيني والثانية تحمل العلم الاسرائيلي ؟ وهل أنت قادر على تمثيل الجوهر الفلسطيني بعلم اسرائيلي ؟ أو هل تكون الشيء ونقيضه في آن واحد ! وقبل ذلك كله : من أنت ؟ .

●

لم تشهد الحياة السياسية والفكرية الاسرائيلية ، طيلة السنوات السالفة ، الحاحا مثل الحاح السؤال المطروح الآن حول هوية العرب الفلسطينيين المقيمين في اسرائيل ويحملون بطاقات هوية اسرائيلية . صار السؤال حول هذه الهوية مؤرقا تحت ضغط القضية السكانية العربية التي واجهتها العقلية الاسرائيلية بعد احتلال عام ٦٧ والتي تتدخل في صورة مستقبل اسرائيل كما يتخيلها ويرسمها الاسرائيليون . اذ أن وجود ما يقرب من مليون عربي يتصفون بأعلى نسبة تناسل في العالم لا يجعل التطبيق الصهيوني على أرض فلسطين متجانسا مع التصور الصهيوني لمستقبل اسرائيل في المنطقة . ويزيد من الحاح طرح السؤال بوادر المقاومة العملية للوجود الصهيوني التي ظهرت ، مؤخرا ، بين العرب الفلسطينيين الذين تعتبرهم اسرائيل مواطنين اسرائيليين ، وميل نتائج تلاقي هؤلاء المواطنين مع أبناء شعبهم من سكان المناطق المحتلة حديثا الى الاحساس المعبر عنه بالمصير المشترك وطريق العمل المشترك ، مما دفع الاسرائيليين الى الاعلان المشوب بخيبة الامل عن فشل سياسة التدجين التي اتبعوها تجاه العرب في الداخل . ويلاحظ المراقب لاشتكال « اعادة النظر » التي يمارسها المسؤولون الاسرائيليون أن اسرائيل تقوم بعملية مزدوجة ، وجهها الاول : تزييف الحقائق حول الواقع العربي في الداخل بالادعاء الدعائي بالتطور « المذهل » في جميع مستويات الحياة الذي حظي به هؤلاء المواطنون « لا يوجد مجتمع في العالم تقدم وتطور في الـ ٢٤ سنة الماضية كالمجتمع العربي في اسرائيل » كما يقول طوليدانو مستشار رئيسة الحكومة الاسرائيلية للشؤون العربية ، مما بعث البهجة في قلوب أعضاء الوزارة الاسرائيلية الذين أوصوا باستغلال « الهدوء المسيطر حاليا للقيام بنشاط اعلامي عميق في أوساط السكان اليهود ، ونشر